

بـ«حركة تحرير المرأة والدفاع عن حقوقها»، وهذا ما يُفهم من هذا المصطلح بشكل عام في اللغات الأوربية. ثم ظهر منذ عدة سنوات مصطلح آخر هو Feminism، وحل محل المصطلح الأول، وكأنهما مترادفان، أو كأن المصطلح الأخير أشمل من المصطلح الأول. ولكننا لو دققنا النظر في المصطلح الأخير لوجدنا أنه يشير في واقع الأمر إلى مدلولين مختلفين تمام الاختلاف: حركة تحرير المرأة وحركة التمركز حول الأنثى، وهما حركتان - في تصوُّرنا - مختلفتان، بل متناقضتان. فحركة تحرير المرأة حركة اجتماعية، بمعنى أنها تدرك المرأة باعتبارها جزءاً من المجتمع، وبالتالي تحاول أن تدافع عن حقوقها داخل المجتمع. ورغم أن هذه الحركة - في رأينا - حركة علمانية في رؤيتها، تستند إلى فكرة العَقْد الاجتماعي (والإنسان الطبيعي والإنسان الاقتصادي) - إلا أن مَنَلها الأعلى يحوي داخله أبعاداً إنسانية اجتماعية، لعلها بقايا رؤى المجتمع التقليدي الديني الغربي. ومع تصاعد معدلات العلمنة بدأت هذه البقايا في التبخر، وتراجع البُعد الاجتماعي، وتم إدراك الأنثى خارج أي سياق اجتماعي، كأنها كائن قائم بذاته. وظهرت نظريات تتحدث عن ذكورة أو أنوثة اللغة، والفهم الأنثوي للتاريخ، والجانب الذكوري أو الأنثوي في رؤية الإنسان للإله. أي أننا لسنا أمام قضية حقوق المرأة الاجتماعية أو الاقتصادية أو حتى الثقافية، وإنما نحن أمام رؤية معرفية متكاملة نابعة من الإيمان بأن الأنثى كيان منفصل عن الذكر، متمركزة حول ذاتها، بل في حالة صراع تاريخي كوني معه، ومن هنا جاءت تسميتها لها «حركة التمركز حول الأنثى». وبالتالي فالبرنامج الإصلاحي الذي تطرحه لا يهدف إلى تغيير القوانين أو السياق الاجتماعي للحفاظ على إنسانية المرأة، باعتبارها أمّاً وزوجة وابنة وعضواً في المجتمع، وإنما يهدف إلى تغيير اللغة الإنسانية ومسار التاريخ، بل والطبيعة البشرية ذاتها، حتى يتم اختلاط الأدوار تماماً، وحتى يتحسن أداء المرأة في إدارة الصراع مع الرجل. وقد نتفق أو نختلف في هذا الوصف للحركتين، لكن المهم أنهما حركتان مختلفتان يُستخدم دال واحد للإشارة إليهما في اللغات الأوربية. وقد بدأنا نحن أيضاً في